

مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
فضيلة الشيخ المحدث
أبو عبد الله الشمري
فك الله أسره
للإعلام



الطبعة الأولى
1436 هـ 2014 م



معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون

فضيلة الشيخ المحدث

أبو عبد اللّه الشمري

فك اللّه أسره

بسم الله الرحمن الرحيم

[معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون]

الحمد لله رب العالمين، الذي علّم القرآن، وخلق الإنسان، وعلّمه البيان، وأقسم الرحمن بالقلم فقال: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ ﴾ القلم: ١، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، نُبّئ بـ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ العلق: ١ - ٥، وأمره بتعلّم أشرف العلوم وأفضلها، وأكملها وأجلّها؛ وهو العلم بلا إله إلا الله؛ فقال له: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ محمد: ١٩، وذكر منّته وفضله عليه بهذا؛ فقال له: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ النساء: ١١٣، فصلوات الله وسلامه على نبيه ورسوله الذي علّم وبلّغ الوحي الذي أنزله عليه، وقال في آخر خطبته يوم عرفة: "اللّهم هل بلّغت؟ اللّهم فاشهد"، ورضي الله عن صحابته الذين ما زالوا يبلغون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولسان حالهم: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة؛ فقد كان قائلهم يقول: هذا عهد نبينا إليكم وعهدنا إليكم، ورضي الله على

مَن تبعهم إلى يوم الدين، الذين هم مصابيح الدجى وأئمة الهدى؛ ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ السجدة: ٢٤، أما بعد:

فإن من أعظم ما يتنافس به المتنافسون، ويتسابق إليه المتسابقون؛ هو تعلّم العلم الموروث عن نبينا محمد ﷺ، والعمل به وتعليمه، والصبر على ذلك، كل ذلك ابتغاء وجه الله؛ قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العلم: هو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة. ا.هـ. ولا يزهد في هذا العلم إلا جاهل ضال.

ولقد كانت طريقة السلف والقرون المفضلة في أخذ العلم ونشره؛ كان منطلقها من المساجد إلا ما ندر؛ اقتداء بالنبي ﷺ، ثم لما ذهبت القرون المفضلة، وجاءت سنة ٤٥٧ هـ؛ ابتُدئ بعمارة أول مدرسة نظامية في تاريخ الإسلام ببغداد، وفي سنة ٤٥٩ هـ؛ فُرغ من عمارة المدرسة النظامية، وكان تأسيسها على مكان مغصوب، كما ذكر ذلك ابن الأثير وابن كثير في تاريخيهما، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ﴾ التوبة: ١٠٩، فانظر يا من يريد الحق ويسعى لسلامته ونجاته، حيث ذكر الله عز وجل مسجد النبي ﷺ وأنه أسس على التقوى، وهذه المدارس أول نواتها أسست على أرض مغصوبة.

ولما أسست؛ أنكرها كثير من أهل العلم، ومنهم علماء بخارى، لما سمعوا بهذه المدرسة بكوا استنكارًا لها، ثم توسعت بعد ذلك هذه المدارس قرنًا بعد قرن، وكل قرن أسوأ من الذي قبله، كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ: "لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم" رواه البخاري ٧٠٦٨ عن أنس رضي الله عنه، وروى يعقوب بن شيبة من طريق زيد بن وهب قال: سمعت عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: لا يأتي عليكم يوم إلا وهو شر من الذي كان قبله حتى تقوم الساعة، لا أعني رخاء من العيش يصيبه، ولا مالاً يغيره، ولكن لا يأتي عليكم يوم إلا وهو أقل علمًا من اليوم الذي مضى قبله، فإذا ذهب العلماء استوى الناس؛ فلا يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر، فعند ذلك يهلكون.

وانظر إلى الواقع، وإلى ما صار إليه؛ حيث وصل الأمر إلى أن عُطلت المساجد إلا من الصلوات الخمس، فإذا انصرف الناس من الصلاة مكثوا يسيرًا، فإن خرجوا وإلا أُخرجوا وأُغلِقت المساجد.

وأما المدارس؛ فقد شُيدت هذه المدارس النظامية حتى أشربت بها قلوب الناس؛ فلو ترك الإنسان أركان الإسلام الخمسة أو أحدها: لَما أنكروا عليه، ولربما لم ينصحه إ لا الواحد أو الاثنان، ولو ترك أحد تلك المدارس تقربًا إلى الله: لَرأيت الناس زرافات ووحدانًا ينكرون عليه ذلك، وهذا يقول: أبه مرض؟ أو به مس من جنون؟ أو أصيب بشيء من السحر؟ اذهبوا به فابحثوا عمن يقرأ عليه لعله يرجع إلى ما كان عليه!! لا إله إلا الله! ويا سبحان

الله! انقلبت الموازين، وتغيّرت الفطر، وانتكست العقول، وصدق الرسول ﷺ حيث يقول: "تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا؛ فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا؛ فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرباد كالكوز مجخيًا؛ لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا، إلا ما أشرب من هواه" رواه مسلم ١٤٤ عن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أرأيت أثرها؟ بل أعظم من ذلك أن يتحول قلب المؤمن الذي كان مؤمنًا في أول النهار إلى أن يكون كافرًا آخره؛ بسبب دخوله في الفتن شيئًا فشيئًا، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم؛ حيث قال: "بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم؛ يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا" رواه مسلم ١١٨ عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وجاء من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما بمثله عند أحمد ٢٧٣/٤.

قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد هذا الحديث: (والله لقد رأيناهم صورًا ولا عقول، أجسامًا ولا أحلام، فراش نار وذبان طمع، يغدون بدرهمين ويروحون بدرهمين، يبيع أحدهم دينه بثمن العنز).

ألا وإن من هذه الفتن هذه المدارس النظامية اليوم، التي نشأ عليها الصغير، وهرم عليها الكبير، وما تركت بيت وبر ولا مدر؛ إلا وأهله قد دخلوا فيها، إلا من عصم الله وقليل ما هم.

ولا أريد الإطالة في التكلم عن هذه المدارس، إنما أريد الإشارة إلى بعض النقاط؛ فاعلم أخي المسلم أنه لا يجوز للإنسان أن يأخذ العلم من أي موطن يتعلم فيه إلا إذا سلم من ثلاثة أمور، إن اختل منها واحد فلا يحل الأخذ منها: **١- سلامة العلوم التي يتعلمها، ٢- الصحبة التي فيها، ٣- القدوة.**

فأما الأول؛ وهو سلامة العلوم التي يتعلمها من مخالفة الشريعة؛ فإذا نظرنا في هذه العلوم: وجدناها علومًا ناشرة للشبهات، وداعية للشهوات، نازعة للولاء والبراء، صارخة إلى وحدة الأديان، معظمة للوحدة الوطنية، وإن وجد بعض الدروس الشرعية؛ فإن نسبتها قليلة إلى هذه العلوم المخالفة، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية (أن العلوم المفضولة إذا ضيقت على الفاضلة: حرم تعلم المفضولة)، وكذلك ما في المناهج مع ما تقدم وجود الصور؛ فلا يخلو منهج إلا ما ندر إلا وهو مملوء بهذا المنكر العظيم، وقد قال النبي ﷺ لعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "ألا تدع صورة إلا طمستها" رواه مسلم ٩٦٩، وهي منكر يجب إزالته كما جاء في صحيح مسلم ٤٩ عن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف

الإيمان"، وأما الولاء والبراء؛ فإنك إذا نظرت في تلك المناهج: وجدتهم يظهرون ويفتخرون بصداقتهم ومودتهم وعلاقتهم المتينة بدول الكفر، وتعظيم علاقتهم بهيئة الأمم الكافرة، وافتخارهم بانضمامهم إليها، التي من ضمن بنودها: تعطيل الجهاد؛ ولذا لا تجد في كتبهم الدراسية الحث عليه، بل تجد خلاف ذلك: محاربته ومكافحته، باسم (مكافحة الإرهاب)، وانظر إلى أغلفة كتب المعاهد التي تسمى العلمية – زعموا – عليها شعار [معًا ضد الإرهاب]، وأما الوحدة الوطنية؛ فانظر إلى احتفالهم [باليوم الوطني] المبتدع مشابهة بأعداء الله، ومن أول قدومه للمدرسة: يستفتح ذلك بصموده ووقوفه عند علم الوطن، ويردد النشيد الوطني، وما فيه من ألفاظ شركية، وكلهم تحت هذه الراية يجتمعون من سني ورافضي وعلماني وغير ذلك تحت وحدة وطنية، وأما النظريات الكفرية المصادمة للشريعة المحمدية؛ فضرب مثال واحد يكفي في ذلك؛ فمن هذه النظريات: نظرية ثبوت الشمس ودوران الأرض؛ قال البخاري في صحيحه، باب قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ ﴾ يس: ٣٨، ثم ذكر حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس؛ فقال: "يا أبا ذر؛ أتدري أين تغرب الشمس؟"، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ ﴾ يس: ٣٨" رواه البخاري ٤٨٠٢

أنكذب بالقرآن والسنة – عياذًا بالله –، ونصدق بالنظريات الكافرة؟! سبحانك هذا بهتان عظيم!

وقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب قول النبي ﷺ: "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء": وجاء ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم في الإنكار على من سأل أهل الكتاب. فكيف بتعلم علومهم، وقَبول نظرياتهم، وتعلم لغتهم، وقد قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "لا تعلموا رطانة الأعاجم" رواه البيهقي؟!

ومن المعلوم بأن تعلم لغة الكفار من التشبه بهم، إلا عند الضرورة إذا احتاج السلطان لذلك؛ كما جاء عن زيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: أمرني ﷺ وسلم أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود، وقال: "إني والله ما آمن يهود على كتابي"، قال: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له، قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم. رواه الترمذي ٢٧١٥ وصححه، وأبو داود ٣٦٤٥.

والتشبه بلسانهم أعظم من التشبه بلباسهم وهيئتهم، قال ﷺ : "من تشبه بقوم فهو منهم" رواه أبو داود ٤٠٣١.

وأما الثاني – وهو الصحبة –؛ فتجده يختلط قريبًا من خمس ساعات يوميًّا مع ما يقارب من ثلاثين طالبًا، يزيدون أو ينقصون، وكل له شرب وفكر ومنهج وأخلاق، وإذا خرج في

الفسح التقى بالمئات، وقد قال ﷺ: "لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي" رواه أحمد ٣٨/٣ وأبو داود ٤٨٣٢ والترمذي ٢٣٩٥، وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "الأرواح جنود مجندة؛ فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف" رواه مسلم ٢٦٣٨، وجاء من حديث أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل الجليس الصالح والسوء؛ كحامل المسك ونافخ الكير؛ فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير؛ إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحًا خبيثة" رواه البخاري ٥٥٣٤ ومسلم ٢٦٢٨، فماذا ترتجي من هذه الصحبة التي تقدم وصفها؟

وأما الثالث – وهو القدوة –؛ فمن كل حزب وطائفة، من سني أو مبتدع أو كافر تارك للصلاة، أو رجل منسلخ من دينه؛ كالرافضة والعلمانيين والإسماعيليين الباطنيين، وغلاة الصوفية القبوريين، وغيرهم، وكلهم في الغالب تجمعهم وتضمهم مدرسة واحدة، فأي علم يرتجى؟ وأي قدوة تلتمس من هؤلاء؟ هذا غير الفسقة المظهرين لفسقهم!

قال ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن هذا العلم دين؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم) رواه مسلم في المقدمة، وجاء عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (وإن هؤلاء لا يعقلون، إنما يجمعون الدنيا، ولا والله لا أسألهم دنيا ولا أستفتيهم عن دين حتى ألقى الله عز وجل) رواه البخاري ١٤٠٨ ومسلم ٩٩٢، وهذا البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: "ما رويت عن أحد إلا من يقول إن الإيمان

قول وعمل"، وهذا أبو العالية رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ كان إذا أراد أن يأخذ العلم من أحد: نظر إلى صلاته؛ فإن كان يحسن أن يصلي، وإلا لم يأخذ منه علمًا، فكيف إذا كان لا يصلي؟ فهذه إشارات تبيّن للبيب ضلالها وانحرافها، وقل لي بربك: ماذا يرتجى من مدير نصب تماثيل الملوك فوق رأسه، مع تفخيمها وتزويقها وتكبيرها؟ فهل عُبِدت الأصنام في قوم نوح إلا بسبب تعظيم الصور؟ كما جاء ذلك في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وأما أنت أيها الطالب؛ فلا يمكنك الدخول في هذه المدارس حتى تقوم بالتصوير في بداية كل مرحلة، حتى تنتهي من مراحل الدراسة! كيف هانت عليك المعاصي، وانتهاك حرمة التصوير، وقد أخبر ﷺ بأن المصورين أشد الناس عذابًا، وأن كل مصور في النار، وأنه من الظلَمة؟ والنصوص في ذلك متواترة عن النبي ﷺ، فيا أيها المنضم إلى هذه المدارس؛ هل تسلم مدرسة من هذه الأمور الثلاثة أو أحدها؟ قال الله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ النساء: ١٤٠.

فاحذر اتباع الهوى، وتسويف الشيطان، ودعاة الضلال، من تزيينهم وترغيبهم، وحثهم لك على الدخول في هذه المدارس!

وأذكرك بقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ النور: ٥١ - ٥٢.

هذا إذا خلصت النية، وأراد بتعلمه ذلك وجه الله، لا يريد من وراء ذلك لا شهادة ولا دينارًا ولا درهمًا، ولا ليقال له: دكتور أو أستاذ، فلا بد مع ذلك أن يكون العمل صوابًا؛ قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ الملك: ٢ ؛ قال: أخلصه وأصوبه، وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ الكهف: ١١٠.

فأنقذ نفسك يا عبد الله ومن تحت يدك من هذه المدارس، التي أشربت بها القلوب؛ عسى الله أن ينجيك ومن تحت يدك من عذابه.

وأذكرك بقول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ التحريم: ٦، وقال ﷺ: "والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عن رعيته، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" رواه البخاري ٧١٣٨ ومسلم ١٨٢٩ عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وعن معقل بن يسار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته: إلا حرم الله عليه الجنة" رواه البخاري ٧١٥٠ ومسلم ١٤٢.

واحذر أن تكون خائنًا لرعيتك؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٢٧ ﴾ الأنفال: ٢٧، فإنك مسؤول عنهم إذا وقفت بين يدي الله: ﴿ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ۝٢٤ ﴾ الصافات: ٢٤.

وأنبه في الختام على أنه لا يجوز طاعة مخلوق كائنًا من كان من والدين فمن دونهما: في معصية الله، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: "لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف" أخرجاه عن علي رضي الله عنه، وفيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "فإن أمر بمعصية: فلا سمع ولا طاعة".

ما أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أبو عبد الله الشمري